في حوار فكري وادبي مع الناقد الدكتور نبيل خالد ابو علي

النص الابداعي وحده هو الذي يستدعي منهجه ويحدد ادواته

اطالب باخضاع ما ينشر في الصحف الادبية لرقابة الناقد

لا يوجد قانون يحكم العملية النقدية وغالبا تكون محكومة برؤية الناقد

لم اقرأ في السنة الاخيرة نصوصا محلية او عربية لها فاعلية!

حوار/ ريم حرب

■ الدكتور نبيل ابو علي احد الرموز الفاعلة على خارطة النقد المحلي.. قدم عددا من الدراسات النقدية المتميزة عن القصة القصيرة والشعر ويقوم حاليا باجراء دراسة مستقصية للقصة القصيرة وروادها على الساحة المحلية وستتبع بدراستين اخريين عن الشعر والدراما وذلك بالاشتراك مع عدنان قاسم.. صدر للناقد حتى الآن عشر مؤلفات في النقد والفكر منها على سبيل المثال «شواعر عصر الاسلام»، «قصة الحروب الصليبية»، «البحر والصياد»، «اللاشعر في السنوات الثلاث الاخيرة».. وغيرها

"الحياة الجديدة" التقت نبيل ابو علي وكان لها معه هذا الحوار الذي يعرض من خلاله لتجربته في النقد العربي ولأهم قضايا النقد والابداع على الساحتين العربية والمحلية

قراءات متنوعة

● ماذا عن بدايتك النقدية؟ وكيف تشكلت؟

- اظن انه من الصعب الحديث عن المرجعية النقدية بشكل عام بل الذي يمكن الحديث عنه في هذه الحالة هو القراءات الواعية الهادفة، وهي لا تشكل بمفردها مرجعية الناقد، بل ان الناقد ينتفع بكل معارفه وثقافته التي هي في نهاية المطاف تشكل شخصيته المستقلة وتحدد بصمته المتميزة. ومع ذلك فيمكن ان ازعم انني وقفت على معظم ما كتبه النقاد القدماء من يونانيين ورومانيين وعرب في النقد، وانتفعت بنقدهم ونظراتهم، وكذلك تابعت ما اصدره المحدثون من النقاد العرب وبعض ما وصل الى يدي من النقد والنظريات الغربية.

شعر المرأة

● هل سبق لك ان خرجت بنظرية نقدية ثم قمت بتطبيقها على نصوص ادبية؟

- لقد حاولت ذلك اكثر من مرة، ولا ادري هل وفقت في واحدة منها ام لا؟ فعلى صعيد النثر - مثلا - حاولت الوصول الى نظرية نقد الاجناس النثرية العربية، وكانت محاولة غير مسبوقة حصلت من خلالها على درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الاولى، اما على صعيد الشعر فقد قمت بمحاولتين الاولى: كانت تهدف الى وضع اساس نقدي لتصنيف ودراسة شعر المرأة وقد اقترنت فيها النظرية بالتطبيق حيث صنفت اكثر من مئة شاعرة من شاعرات عصر الاسلام الاول تصنيفا نقديا يظهر مكانة كل شاعرة ويبين خصائص شاعريتها، وكذلك مكانتها من الحركة الشعرية كقرين للرجل اتفقت معه في سمات وافترقت عنه الفسيولوجي والسيكولوجي الذي ميز ابداعها.

اما المحاولة الثانية فكانت استجابة لما شهدته الساحة العربية بشكل عام والفلسطينية إبان الانتفاضة بشكل خاص من اضطراب في تحديد ماهية الشعر وحدوده. وقد حاولت فيها تحديد ماهية الشعر - من وجهة نظري طبعا - في ضوء المفاهيم الحداثية المتضاربة التي وصل بعضها الى تحرير الشعر في نفسه وطمس هويته ومسخ صفاته حتى اصبح نثرا مشعورا او شعرا منثورا وقد عمدت الوصول الى غايتي من خلال البحث في اللاشعر وتحديد مواصفاته ورسم حدود منفاه عن دولة الشعر.

النظرية مبعثرة

● هناك من يرجع غياب نظرية نقدية عربية الى افتقارنا لعلم الجمال والاصول الفلسفية، هل تتفق معهم؟ وهل بامكاننا تطوير نظرية نقدية عربية تستمد خصوصيتها من خصوصية النتاج الابداعي العربي؟

- بالطبع لا اتفق مع من يزعم ذلك.. بل لعلي اتهمه بعدم الرجوع الى تراثنا النقدي، قد تكون اجزاء تلك النظرية مبعثرة في بطون كتب النقد العربي، ولكن هل نغفل ما استقر عند عبدالقاهر الجرجاني - مثلا - عن نظرية النظم "هذا الناقد البلاغي الذي استطاع ان يتوج النظرية الجمالية بتفسير جديد لقضية النظم وطبقات التعبير" او نغفل جهود النقاد اللغويين ونظرياتهم تلك النظريات التي لا يخفى تأثيرها في نظريات علم اللغة الحديث، وهل نغفل جهود الادباء او الفلاسفة النقاد ونزعم ان الناقد الغربي الحديث «بريمن» هو اول من حدد مراحل الخلق الشعري.. ونغفل ما استقر عند ابن

وهل تنبهر بحديث الناقد وليم امبسون عن ضرورة الفصل بين الشاعر ومعتقده، ونؤمن على ما قالته «اليزابيث دور» في هذا الجانب ونتجاهل حديث قدامة بن جعفر.. او نغفل ذكر ما استقر في نظرية اللفظ والمعنى عند الجاحظ وغيره من النقاد العرب، او الطبع والصنعة عند الآمدي - مثلا - او السرقات الادبية عند القاضي الجرجاني.. انتجاهل النظريات النقدية التي جاءت في المقدمات التي صدر بها بعض الشعراء دواوينهم كابن خفاجة والمعري في سقط الزند.. او محاولات ابن شهيد وابن شرف. نعم قد يكون تبعثر اجزاء النظرية هو المسبب في الحديث عن غيابها، ولكن اريد ان اشير في هذا الجانب الى الجهد الذي بذلته د. هند طه في جمع شتات تلك النظرية في كتابها «نظرية نقد الشعر» ومن قبلها ما قام به الدكتوران: جميل سعيد وداود سلوم في كتابهما «نصوص النظرية النقدية»، ومثل ذلك يقال عن كتابي الدكتور جابر عصفور: مفهوم الشعر والصورة الفنية التي رسمت من خلالها ملامح النظرية النقدية العربية ومع ذلك فان حديثي هذا لا يعني بحال التنكر للمنجزات الغربية الحديثة التي اثبت نقادنا - منذ مطلع هذا العصر - مقدرة فائقة على المزاوجة بين اصالة النظرية العربية ومستجدات الاجناس الادبية ونظرياتها.

النص يستدعي منهجه

● هناك من يرى انه بالامكان تطوير نظرية نقدية تكاملية عربية غربية هل تتفق معهم ولماذا؟

- نعم هذا ما يحدث فعلا في الكثير من الدراسات النقدية التطبيقية خاصة ما يتصل بنقد الدراما او القصة كاجناس اصولها غربية اذ يعتمد الناقد الاساس النظري الغربي للدراما او القصة ثم يعمل ادوات النقد العربي في درس الاسلوب والمضمون. فهو من ناحية الشكل يتعامل مع النسيج الخارجي على اساس النظرية الغربية ومن حيث المضمون والاسلوب لا يجد مفرا من الرجوع للضوابط الاسلوبية والفنية العربية ومع ذلك اريد ان اقول في هذا المقام ان الابداع لا يمكن بحال ان يخضع لنظرية جامدة سواء أكانت عربية ام غربية ام عربية غربية وكذلك فان كل عمل ابداعي يستدعي ادواته ويحدد بقدر كبير منهج دراسته.

انتقائي

● العملية النقدية كما تراها هل هي عملية تنظيرية ام تطبيقية ام كلاهما معا؟ وايهما يسبق الآخر ولماذا؟

- لا شك ان الممارسة تسبق النظرية دائما.. ففي البداية كان النص وكان منتجه هو اول ناقديه، وتبعه المتذوقون بنظراتهم ونقودهم، ومن النتاج استخلصت النظرية التي تحدد مواصفات الجودة والرداءة. والناقد في نظري كقائد القافلة الذي يسير حينا في مقدمة الركب، ليرشد الى الطريق الصحيح، واحيانا خلف القافلة ليقيل العثرة ويبين اسباب الزلة.

الممارسة اولا

● وكيف ترى العملية النقدية أهي تتبعية ام هي انتقائية، ولماذا تختار نصا دون الآخر؟

- لا يوجد قانون يحكم العملية النقدية. فهي في الغالب انتقائية محكومة برؤية الناقد لاهمية النص وما يتوخى الوصول اليه من دراسته لهذا النص، ولكن هناك العديد من الدراسات التتبعية التي تعنى بدراسة جنس ادبي او ظاهرة ادبية في عصر من العصور.

● ما هي النصوص الابداعية التي وجهت نظرك خلال المدة الاخيرة وجسدت مفهومك للابداع الجديد؟

- لم اقرا في السنة الاخيرة على الصعيدين المحلي والعربي نصوصا لها هذه الفاعلية.

● هل تعتقد ان الانتفاضة افرزت ادبا فلسطينيا يرتقي الى فضاءات هذا الحدث الاسطوري الخارق؟ ام انها ستبدع ادبها المتجاوز والمتقدم مستقبلا؟

- ان غلبة الطابع التسجيلي على ادب الانتفاضة لا يعني بحال ان نغمط حق العديد من النماذج الادبية الراقية التي ابدعتها الانتفاضة ومع ذلك اتأمل ان يتيح الخروج من اتون الحدث للمبدعين الفلسطينيين رؤية اعمق واشمل، وان نطالع ابداعات فنية تطاول هذا الحدث، وتجارب مبدعيه وبطولاتهم.

● الساحة الفلسطينية في الداخل تفتقر الى حركة نقدية مواكبة لحركتها الابداعية، فما هي الاسباب والمعوقات التي تحول دون تشكلها حتى اللحظة؟ وهل بامكانكم القيام بمبادرة وزملاؤكم من النقاد الاكاديميين وغيرهم لتشكيل هذه الحركة؟

- لا يكاد يختلف واقع الحركة النقدية الفلسطينية عن واقعها العربي، فالشكوى من قصور الحركة النقدية هي سمة هذا العصر، ومع ذلك فان جهود النقاد الفلسطينيين - على قلة عددهم - لا يمكن التنكر لها، وهناك عشرات الدراسات المتخصصة التي عكف اصحابها على دراسة الادب المحلي درسا نقديا موضوعيا، وارجو ان تسمحي لي في هذا المقام ان اشير الى بعض المحاولات المرفوضة التي يشكك اصحابها في دور الحركة النقدية المحلية منذ السبعينيات وحتى قدوم السلطة، وساذكر هنا حكما جائرا غير مبرر قرأناه على صفحات الجريدة تحت عنوان «النقد والتلوث الثقافي» جاء فيه: ان النقد الجاد يعتبر ظاهرة جديدة لم يكن معروفا ايام الاحتلال لأن انتقاد اي عمل ادبي او فني كان غير مقبول، ويفهم على انه اساءة لصالح الاحتلال والرقابة العسكرية. وانا بدوري اسأل صاحب هذه العبارات التي تجافي الواقع هل اطلع على ما كتب من دراسات محلية نقدية؟ واين نقده الجاد الذي شهدته الساحة المحلية بقدومه؟ وهل تعد المقالات الصحفية السطحية نقدا؟

اما عن امكانية قيامي بمبادرة مع بعض الزملاء من الاكاديميين لتنشيط الحركة النقدية، فازعم ان علاقتي بالادب المحلي علاقة وثيقة، وقد اصدرت بعض الدراسات عن الشعر الفلسطيني والقصة الفلسطينية، وأقوم الآن انا والاستاذ الدكتور عدنان قاسم باجراء دراسة مستقصية للقصة القصيرة وروادها في فلسطين، وهي دراسة ستتبعها ان شاء الله دراستان احدهما عن الشعر والثانية عن الدراما في فلسطين.

النقد الجاد موجود

● متى ينتقل النقد من مرحلة النقد المجامل والمتعاطف وما يسمى بـ «الشللية» في النقد الى مرحلة المكاشفة والمساءلة تمهيدا للفرز؟

- النقد الموضوعي الجاد لم يغب يوما عن ساحتنا وهو موجود ودراسات المختصين المنشورة تشهد بذلك، اما ما تسميه بالنقد المجامل والمتعاطف او «الشللية»، فهو لا يستحق ان يسمى نقدا ولا يملك مقومات النقد. اما اذا كنت تقصدين ما نسمعه في بعض الندوات وما تطالعنا به الصحف احيانا من آراء لا تمت للنقد بصلة في تقريض صديق؟ او تجريح خصم. فاوافقك على ذلك حيث نلاحظ ان هناك مجموعة من ادعياء الادب يروجون كتاباتهم بطريقة تبادل الادوار، ولكن ينبغي ان نعلم ان هذه الكتابات غير مؤهلة للبقاء، ولا تملك مقومات التأثير في الحركة الادبية.

● هل تتابع كل ما تطرحه الساحة الثقافية المحلية من ابداعات ادبية؟ ما رأيك فيها؟ وهل ترى ان الصحف اليومية والمجلات المتخصصة قد ادت الغرض المنوط بها في هذا الاتجاه؟

- نعم. احاول جاهدا ان اتابع الحركة الادبية المحلية. اما رأيي فيها فيمكن ايجازه على النحو التالي: لم تفرز المرحلة الحالية بعد الانموذج الذي يوازي انموذج ادب الانتفاضة او يتفوق عليه، ولعلي لا ابالغ ان قلت ان الساحة المحلية تعاني من ازمة ابداع، طبعا اقصد الانموذج اللافت الذي يستحق ان يتصف بهذه الصفة. وقد عقدت منذ زمن غير بعيد ندوة دعوت اليها بعض المختصين والمهتمين بالحركة الادبية لتدارس الواقع الادبي وقد اجمع الحاضرون على وصف الواقع الادبي بانه ما زال يعيش لحظة الدهشة والتأمل.

اما الصحف والمجلات المحلية لا يمكن ان يغفل المرء جهودها في تشجيع الناشئة ونشر كتاباتهم وكذلك رعاية الادباء والاحتفاء بابداعاتهم. وان كنت اتمنى على القائمين على الصفحات الادبية في الصحف المحلية ان يهتموا اكثر بالارتقاء بالذوق العام وان يخضعوا ما ينشر لرقابة الناقد ومقاييسه الفنية.

المبدعات قليلات

● غياب المرأة عن ساحة الابداع المحلي هل هو راجع الى عدم وجودها وتمثلها في الحياة الاجتماعية والثقافية ام الى [illegible]

- تشهد الساحة الادبية المحلية منذ عصر الانتفاضة حتى يومنا هذا اصرارا واضحا من قبل المرأة على المشاركة في معظم الامسيات والندوات الادبية، ومزاحمة الرجل في معظم منابر النشر المتاحة، ورغم ما تحظى به من اهتمام ومدح واطراء إلا ان اللواتي يتصفن منهن بصفة الابداع قليلات اذا ما قورن بالرجال، ومع ذلك فاننا لا نعدم وجود بعض النماذج الشعرية اللافتة واذكر في هذا المقام - على سبيل المثال لا الحصر - كفاح الغصين وصباح القلازين وفاتنة الغرة.

ولم يقتصر تعبير المرأة المبدعة عن ذاتها وعالمها الخاص والعام بالشعر فقط.. فكما ان المؤرخ للادب الفلسطيني لا يستطيع اغفال ذكر فدوى طوقان وسلمى الخضراء الجيوسي - مثلا - وهو يتحدث عن الشعر، كذلك لا يستطيع في تاريخه للقصة ان ينكر السيدة كلثوم عودة او نجوى قعوار فرح او اسماء طوبي، او ان يتجاهل كتابات سحر خليفة وسميرة عزام القصصية.

اما اذا اقتصر حديثي على قطاع غزة فانني اسجل عدم الرضا عن مستوى ادب المرأة بشكل عام، سواء على صعيد الشعر او القصة، ودعيني اسأل اين المرأة الغزية الشاعرة؟ وهل هناك شاعرة يمكن ان يشار الى شعرها بالبنان؟

نعم اعجبت ببعض شعر كفاح الغصين - مثلا - وتوقعت ان تكون الشاعرة المأمولة ولكن اين هي اليوم وما هو مستوى شعرها؟ واين هي صباح القلازين اليوم من الشعر بعد ان حازت عضوية اتحاد الكتاب؟ اما القصة فلا اذكر من نماذجها سوى رواية «سماح» التي كتبتها رهيفة قدورة اثناء دراستها الجامعية ورغم تميز مستوى تلك الرواية وما حظيت به من تشجيع واهتمام الا انها لم تواصل ولم تنشر غيرها.

اما اسباب ذلك فاظنها تنسحب على كتابات القصة والشعر معا، ولعلي لا اكون مخطئا اذا ارجعت بعضها الى ثقافة المرأة والى تكوينها النفسي وارتباطه بطبيعة المجتمع والقيود التي تفرض عليها، والتي قد تزداد ضراوة بعد الزواج ويحضرني في هذا المقام قول سعاد الصباح:

يقولون ان الكتابة اثم عظيم فلا تكتبي
يقولون ان الاديبات نوع غريب من العشب ترفضه البادية
وان التي تكتب الشعر ليست سوى غانية